ثورة لبناء مجتمعنا الجديد ...

الأخبار: 28-5-71

بقلم : عبد الرحمن الشرقاوى

ومن أين تتبع مبادئ أية ثورة ؟ مبادئ الثورات ليست اختراعاً.... إنها ليست بدعة. بل هي صياغة أحلام الجماهير العاملة وتحويلها إلى قواعد وأهداف للمجتمع. وتنظيم الشكل الذي يكفل تحقيق هذه الأهداف...

إن مبادئ الثورات ليست غير تشكيل رغبة الشعب في حياة أفضل.

إنها مجموعة القواعد التي تحدد أبعاد العلاقة الاجتماعية النابعة من واقع جديد.. والثورة في مضمونها تغيير شامل نحو الأفضل... وليس من المحتوم أن تكون وسيلتها إلى هذا التغيير هو الإجرام العادي أو الاستثنائي.

ومن الخير أو يتم التغيير الذي تحققه الثورة من خلال قواعد تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع.. وتضمن لكل المواطنين حقوقهم وتكفل لهم حرية الحركة والتعبير... وأنهم لا يظلمون ولا يظلمون.

ذلك أن الشعب حين يقتلع من مواقع الحكم تلك الفئة التي تقف في سبيله، وحين يضع من المبادئ ما يكفل حماية حقوقه، وما يهيئ له شروط العمل المنتج المطمئن ليحقق لنفسه الرفاهية، فهو في الحق يدفع بممثليه الحقيقيين إلى الحكم ليحفظوا له حقوقه وليصونوا مصالحه...

ولكن بعض الناس يفزعون من كلمة "الثورة" لأنهم يخافون التغيير. .

لقد أذكر والذكرى تنفع المؤمنين أن قوى بعينها عارضت في إطلاق كلمة الثورة على ما كان في يوليه سنة 1952... ولو أننا قلبنا صفحات كتاب الثورة، لوجدنا حرصا من بعض القوى على تسميتها "الحركة المباركة"....

www.anwarsadat.org

لماذا حرصت تلك القوى على أن يظل ما حدث في يوليو سنة 1952 حركة، وإن كانت مباركة، لا ثورة!

كانت تلك القوى تخاف التغيير ... كانت تفزع من صياغة جديدة لشكل المجتمع، وتطوير جديد لأسلوب العلاقات...

وها نحن أولاء في مايو سنة 1971، مازلنا نسمع أصواتا مشابهة... تفزع من أن يكون ما حدث ثورة... وتريد أن تسميه تصحيحاً.. فحسب!

ذلك أنها هي الأخرى لا تريد أن يمتد التغيير إلى أشكال العلاقات... ولعلها تخاف أن تعيد الثورة تشكيل المجتمع على أساس قواعد قانونية جديدة تكفل الحرية الكاملة للمواطن.. لعلها تريد من جديد أن ترفع شعاراً تسلل من تحته مراكز قوى جديدة.. شعار مثل لا حرية لأعداء الحرية... لعلها تعتبر الشرعية تصفية!... لعلها وقد وثبت إلى ما لا تستحق تخشى أن تبطل الثورة الباطل وتحق الحق... ولعلها آخر الأمر تريد أن تستمر على نحو ما تلك الأوضاع الشاذة الاستثنائية التي سمحت بتكوين مراكز قوى وحمت صوراً كريهة من الاستغلال، وأنشأت أصولاً للإرهاب الفكري....

فالثورة الجديدة تعبر عن إرادة الشعب في حركته الواعية المتطلعة ليصبح القانون دعامة للمجتمع الجديد ولجعل الأخلاق دستورا ولجعل العمل هو القيمة الحقيقية للمواطن... أن ثورة مايو لم تكن ضربة لمؤامرة على مصالح الشعب وحرياته فحسب.. لم تكن مجرد إزاحة لفئة مستبدة من مواقع السلطة....

إن ثورة مايو لم تكن تصحيحاً لمسار ثورة يوليه ولا شيء بعد ... ولكنها ثورة شاملة لتغيير والتطوير... إن أنور السادات قاد ثورة مايو تعبيراً عن حق الشعب في أن يمارس كل فرد فيه حياة موفورة من الأمن والعمل المنتج وهو على بينه بما له وما عليه ولكي يطمئن كل مواطن إلى تمتعه بحقه المشروع في العدل.. وتحريرا لإرادة الشعب من الخوف، وتحريراً لمصالح الشعب من الاستغلال، لطهارة الشعب من الفساد، وتحريراً لشرف هذا الوطن من العار... قاد أنور السادات ثورة مايو إنقاذاً لمبادئ ثورة يوليو... وأضاف إليها مبادئ جديدة.. وهي مبادئ تلخص أحلام الشعب في الخلاص والانتصار....

والثورات لا تتجمد... لأن الحياة لا تتجمد ولكنها تجدد نفسها بنفسها لتحتفظ بقدرتها المبدعة الدائمة على مواجهة احتياجات الواقع... هكذا تنتصر الثورات.

إن مبادئ الثورة ليست نصوصاً متحجرة يمكن أن تتحول إلى قيود إذا تغيرات الظروف... ولكنها حياة متجددة...

ومع ذلك فمبادئ ثورة يوليه سنة 1953 قد تحولت يوما بعد يوم إلى ميراث للذين عاشوا في ظل عبد الناصر يحرجونه وهو حي، ثم خانوا وأهدروا مبادئه بعد رحيله... إن الناصرية لم يتح لها أن تمتحن كما ينبغي فقد طمسها هؤلاء .. حتى كان انفجار ثورة مايو سنة 1971.

وكان قدراً تاريخياً لا يرد... انفجرت الثورة الجديدة... لا لتصحح مسار الثورة الأولى فحسب، ولا لتعيد للناصرية ما سلبوه منها ولا شيء بعد، ولكن لتواجه الواقع الجديد بأساليب جديدة.... وتعيد تشكيل الواقع المصري ليواجه حاجات التقدم.

من هنا كان حرص الشعب على أن تعبر الثورة الجديدة عن وجدان الإنسان الجديد....

من هنا كانت ثقة الشعب في أن أنور السادات الذي قاد هذه الثورة الجديدة بالشعب وحده ضد كل معاقل القوى، سيظل حريصاً على أن يغير ويطور ويطهر بقوة القاعدة القانونية لا بالإجراء الاستثنائي...

ولو لم يعلن هو نفسه هذا على الشعب، لوثق الشعب بأنه لن يصنع غير هذا ... فالشرعية هي سبيله الوحيد للتغير والتطوير... ذلك أنه بالشعب وحده صنع هذه الثورة... وبالشعب وحده سيصون هذه الثورة ... والشعب وحده هو الذي سينتصر بهذه الثورة... فهو القوة الوحيدة التي تملك هذه الأرض الطيبة، والتي أنقذ بها أنور السادات مستقبل الوطن من عصابة الإرهاب التي سقطت ...

لأن التغيير يجب أن يتم من خلال الشرعية وبالطرق القانونية.